

— ٩٨ —

قوة مدمرة تفجرت في قلب الظلام . تواصل الضرب بلا رحمة وصمت قائدنا كأنما قد ترك لأيدينا وأرجلنا مهمة إنزال العقاب الشامل بنا . وما ندرى إلا والظلمة تخف وتهافت ، ومعالم الدنيا تطل علينا من حولنا ، ورقعة الأفق الشرقى تبتسم ببهجة الضياء . عند ذاك تراءى المتعاركون ، رأى كل وجه زميل أو صديق فعقد الحياء أيدينا وتطايرت انفعالنا السوداء وتراجعنا بوجوه أسيفة وقلوب منكسرة ، وجعلنا نجفف عرقنا ونضمد جراحنا وتبادل نظرات حسيرة ، متعجبين النظر نحو قائدنا الواقف كتمثال للغضب والأزدراء . وساد صمت ثقيل مشحون بالندم . وتلقينا أول شعاع للشمس بوجوه كالحة .

وراح القائد ينقل عينيه من شخص لآخر ، ثم قال :

— بداية على أى حال جديدة بكم .

لم ينبس أحد بكلمة . ولا انبرى أحد للدفاع يستوى في ذلك الظالم والمظلوم . وعاد القائد يقول :

— إن زيكم الرفيع ليخجل منكم .

وهز رأسه في أسى ثم تساءل :

— هل لدى المذنب منكم الشجاعة للاعتراف ؟

ولما لم يسمع صوتا قال :

— ليس من مبادئنا إلغاء رحلة بدائها ولكن لن يمر ذنب بلا عقوبة تناسبه .

مضى إلى موقفه ، نفخ في الصفارة ، هوت المطارق على الطبول ، تحرك الطابور في ضوء الصباح الباكر . انتقلنا من الصحراء إلى المدينة فقابلتنا طلائع العمل والباعة . وتبعنا لتقاليدنا رحنا نشد الأناشيد متناسين